

تابع الآثار المروية في أخلاق حملة القرآن

، وَعَنْ أَبِي عَبْدِةَ النَّاجِيِّ⁽¹⁾ أَنَّهُ سَمِعَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ⁽²⁾ يَقُولُ: (الَّذِمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَتَبَّعُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَكُوْنُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ)، ثُمَّ قَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ عَرْضٌ لِنَفْسِهِ وَعَمَلٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ وَاقَعَ كِتَابُ اللَّهِ حَمْدُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ الْزِيَادَةُ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ أَعْتَبَ نَفْسَهُ فَيُرْجَعُ مِنْ قُرْبَى)، وَعَنْ أَبِي كَتَانَةَ⁽³⁾ أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ⁽⁴⁾ قَالَ: (الَّذِينَ قَرَوْا الْقُرْآنَ وَهُمْ قُرْبَى مِنْ ثَلَاثَةِ، فَعَظَمُ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَانَ لَكُمْ رُخْرَا وَكَانَ عَلَيْكُمْ وَرِزْقًا فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَبَعُوكُمْ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَئْبَعِ الْقُرْآنِ هَبْطَبِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَئْبَعِ الْقُرْآنِ رَجْ فِي فَقَاهَةِ فَقْدَتِ فِي النَّارِ⁽⁵⁾).

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ فَلْيَغْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ)⁽⁶⁾، وَعَنْ عَطَاءِ⁽⁷⁾ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ⁽⁸⁾ (عَنْ مُجَاهِدِ⁽⁹⁾ فِي قُولِهِ عَزْ وَجْلَهُ: (يَشْتَوِنُهُ حَقُّ تِلْوِيَّهِ))⁽¹⁰⁾، قَالَ: يَعْتَلُونَ بِهِ حَقُّ عَنْهِ⁽¹¹⁾، وَعَنْ عَطَاءِ قَالَ: (إِنَّمَا الْقُرْآنَ عَبْرٌ، إِنَّمَا الْقُرْآنَ عَبْرٌ))⁽¹²⁾. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسِينِ⁽¹³⁾: وَقَيْسٌ أَنَّ أَذْكُرَ أَخْلَاقَ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَمَا يَتَبَعِي لَهُمْ أَنْ يَتَذَبَّرُوا بِهِ أَذْكُرَ فَضْلَ حَمْلَةِ الْقُرْآنِ؛ لَيَرْغِبُوا فِي تِلْوِيَّهُ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْتَّوَاضُعُ لِمَنْ تَعْلَمُوا مِنْهُ أَوْ عَلِمُوهُ).

وبعده وصية الحسن البصري⁽¹⁴⁾، فقد أوصى الحسن البصري فرقاء القرآن بأن يلزموا كتاب الله، وأن يداوموا عليه، وأن يتبعوا ما فيه من الأمثل⁽¹⁵⁾.

والقرآن قد ضرب الله فيه الأمثل، قال الله - تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مُثْلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَرَأَنَا عَزِيزًا غَيْرَ ذِي عِوجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)⁽¹⁶⁾. وقال: (وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مُثْلٍ وَلَئِنْ جَنَّهُمْ بِآيَةٍ لَيُقْرُؤُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ)⁽¹⁷⁾. فالقرآن مليء بالعبر والأمثال لما جرى للأمم السابقة جماعات وأفراد، فالآفراد مثل قوله - تعالى: (وَإِنَّ عَنْهُمْ تَبَأْنَ أَيْتَنَا فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَلَيْبَعَ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ)⁽¹⁸⁾. وعن الأقوام قال: (مَثَلُ الَّذِينَ حَمِلُوا التُّورَةَ لَمْ يَحْمِلُوهَا)⁽¹⁹⁾. والأمثال لا يعقلها إلا من تدبر وتفكر، كما قال - تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ)⁽²⁰⁾. وقال - تعالى: (لَوْ أَنَّ رَبَّنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْهُ خَائِسًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْبَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)⁽²¹⁾.

فضرب الأمثال ليس للتسلية، ولا للقصص التاريخية، وإنما هو للاعتبار، وأخذ العبرة والاتزان، يعني: كل ما في هذا القرآن عبر، قال - تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قُصْصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَيَّامِ مَا كَانَ حَدِيثًا يَقْرَئُ)⁽²²⁾. وهذه وصية جليلة، فالذى يعرض حاله ونفسه على القرآن الكريم، يستطيع أن يعرف ما لها وما عليها في الطاعة وفي المعصية، فاعرض نفسك على القرآن دائمًا، وأدائ عمل تقدم عليه اعرضه على القرآن، فإن كان موافقًا لما في القرآن فأقدم عليه، وإن كان مخالفًا فأعرض عنه؛ وللهذا في الذي يُعرض عن القرآن في أقواله وأفعاله قد ارتكب الهوى، قال - تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَنْبَعَ هَوَاءً بِعِيرٍ هُدَىٰ مِنْ اللَّهِ)⁽²³⁾. وقال - تعالى: (لَمْ جُعْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَشَبَّهُنَا وَلَا شَيْءَ أَهْوَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)⁽²⁴⁾. فأمر الله - تعالى - نبيه، وأمر أمته بأن يسيراوا على هذه الشريعة، وهذه الشريعة في القرآن وفي السنة.

فهذا وصايا الثالث - رحمهم الله، فيقول: إن وافق كتاب الله، حمد الله، وسأله الزيادة، وإن خالف ذلك أعتبر نفسي، أي: عاتبها على هذا الفعل، ولو أن الناس فعلوا ذلك لما رأيت هذا التعدى على حدود الله، وهذا الفساد، وهذا الظلم، وغيره من المحرمات التي يقعون فيها.

وفي الأثر عن أبي موسى الأشعري⁽²⁵⁾ أنه جمع فرقاء القرآن، وهذا الجمع قريب من الثلاثة، ويحتمل أن يكونوا من التابعين ومن الصحابة، جمعهم أبو موسى - رضي الله عنه - فوعظهم، وعظم القرآن في قلوبهم، وبين لهم أن الله - تعالى - أنزل هذا القرآن؛ ليكون لكم نورًا وهداية، فعظمواه في قلوبكم، فمن عظم القرآن فقد عظم الذي أنزل القرآن، وهو الله - جل وعلا، وعظم من أنزل عليه القرآن، وهو النبي - عليه الصلاة والسلام⁽²⁶⁾.

والذي يتبع القرآن ويعمل به، فإن القرآن وفي ألهه في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، لأن القرآن يتبعه إلى يوم القيمة إلى أن يدخل الجنة، كما تقدم في سوري: البقرة وال عمران، وهم الزهراون، وأنهما تأتين يوم القيمة كالغياثتين أو كالغماتين تحاجن عن أصحابها حتى يدخل الجنة⁽²⁷⁾.

فالقرآن يتبعه، وينير له الطريق في الدنيا وفي الآخرة، حتى يدخل مأله وهو الجنة، كذلك الذي لا يتبع القرآن، فالقرآن يتبعه بالعذاب، ويدفعه دفعاً إلى النار -والعياذ بالله؛ ولهذا قال -تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَغْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَخْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَغْنَى)⁽²⁸⁾.

هذه وصايا الصحابة ووصايا السلف -رضوان الله عليهم، ثم بعد ذلك جاء ما أوصى به الحسن، وهو تابع لما قبله، ثم تفسير مجاهد⁽²⁹⁾ لقوله -تعالى: (يَثْلُوثُهُ حَنْ تَلَوْتُه)⁽³⁰⁾. قال: يعملون به حق عمله⁽³¹⁾. فالمقصود العمل بالقرآن، وليس كثرة التلاوة، وإن كانت الكثرة فيها الأجر والثواب، لكن المقصود الأعظم هو العمل بالقرآن الكريم، وإنما القرآن عبر، أي: يعتبر به من فرآء، ويعرف حال الأمم وحال العصاة من الكافرين مع أنبياء الله -تعالى- ورسله.

ولما ذكر الله -تعالى- قصة يوسف العجيبة مع إخوته وما جرى، ختمها الله -تعالى-. كما بدأها، فقال في أولها: (تَخْنُ نَفْصُنْ عَلَيْكَ أَخْسَنَ الْقَصْصِ)⁽³²⁾. وفي آخرها قال: (لَئِنْ كَانَ فِي قَصْصِهِمْ عِزْزَةٌ لِأُولَئِكَ)⁽³³⁾. فبدأها بذكر القصص وختمها بالقصص، وهذا من المناسبات اللطيفة في مناسبات أوائل السور وأواخرها، فسمى الله -تعالى- هذه القصص عبرة لمن يعتبر بها، وقال -تعالى- في آية أخرى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ تَعْبِرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ)⁽³⁴⁾. أي: لما تقدم من سياق في هذه الآيات، لأولي الأ بصار: هم أهل النظر الصحيح، وهم الذين يتأملون هذا القرآن، ويتأثرون به، ويعرفون ما جرى للأقوام السابقة، وما أعده الله -تعالى- لأوليائه من نعيم مقيم، وما أعده للمخالفين والعصاة من العذاب والجحيم..

س: يقول البعض -حفظك الباري: أيهما أولى بالإماماة: رجل يحسن القراءة من ناحية الأحكام وغيرها، أم من هو أحافظ، وإن كان لا يجيد القراءة بالأحكام، وجزاكم الله خيرا؟

ج: الإمام إذا كان إماماً ثابتاً في المسجد فهو أولى، وإن كان أقل في الحفظ، فإذا كان ثابتاً وإماماً رسمياً في المسجد فهو أولى بالإماماة من غيره، وإن كان خلفه من هو أقل منه، لكن إذا كان في غير المسجد، فكما قال -عليه الصلاة والسلام: «يَوْمَ الْقُوْمُ أَفْرُؤُهُمْ لِرِكَابِ اللَّهِ»⁽³⁵⁾. فإذا كانوا في غير المسجد، يؤمهم الضابط المتقن لقراءة القرآن الكريم، وإن لم يكن حافظاً.

(1) بكر بن الأسود، ويقال: ابن أبي الأسود، أبو عبيدة الناجي، ضعفه ابن معين، والنمساني، والدارقطني، وغيرهم. انظر: الجرح والتعديل (2/382 ترجمة 1489)، لسان الميزان (47/2 ترجمة 174).

(2) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لستين بقينا من خلافة عمر. كانت أمه مولادة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فسكنه بشبها. ويقال: كان مولى جعيل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدرس. مات سنة عشر ومنة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (6/ 95 ترجمة 1216)، وسير أعلام النبلاء (4/ 563 ترجمة 223).

(3) أبو كنانة القرشي. قال ابن حجر في التقريب: مجهول. انظر: تهذيب الكمال (7589 ترجمة 34/227)، الجرح والتعديل (9/430/2135).

(4) الصحابي الجليل عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن عاصي بن عبد الله بن عامر بن عبد الله بن ناجية بن الجماهير بن الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معاً وآمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة واستعمله عمر على امرة البصرة بعد أن عزل المغيرة وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: 851 ترجمة 3137)، والإصابة (4/ 211 ترجمة 4901).

(5) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "الحلية" (1/257) عن أبي كنانة به.

(6) أخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (37).

(7) عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم، الإمام شيخ الإسلام، مفتى الحرث، أبو محمد القرشي مولاهم المكي. يقال: ولاؤه لبني جمع. ثقة كثير الإرسال. نشأ بمكة، وولد في أثناء خلافة عثمان. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال. توفي سنة أربع عشرة ومنة. انظر: تهذيب الكمال (20/ 69 ترجمة 3933)، وسير أعلام النبلاء (5/ 5).



(8) قيس بن سعد، أبو عبد الله المكي الحبشي، مولى نافع بن علقمة، مات سنة تسع عشرة وستة، وكان قد خلف عطاء في مجلسه، وكان يفتى بقول عطاء. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (24/47) ترجمة 4907، وميزان الاعتدال (3/397) ترجمة 6915.

(9) مجاهد بن جibr، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين. روى عن: ابن عباس فناشر وأطاب، وعنده أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. كان يقول: "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أفقه عند كل آية، أسأله: فِيمَ نَزَّلَتْ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ؟". وكان من أعلم التابعين بالتفاسير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إمام في التفسير. توفي سنة ثلاثة وثلاثين وستة وقد تيقن على الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (27/228) ترجمة 5783، وسير أعلام النبلاء (4/449) ترجمة 175.

.121 البقرة: (10)

(11) أخرجه الطبرى في تفسيره (1/566)، من طريق عطاء وقيس بن سعد عن مجاهد به.

(12) أخرجه سعيد بن متصور - كما في روح المعاني (209/23). قال الأنوسي: صحيح.

(13) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الأجري، الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"؛ و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاثة وستة. انظر: سير أعلام النبلاء (16/133) ترجمة 92، والوافي بالوفيات (2/267) ترجمة 847.

(14) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لستيني بقينا من خلافة عمر. كانت أمه مولدة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيكي وهو صبي فتسكته بشيء. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويجلس. مات سنة عشر وستة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (6/95) ترجمة 1216، والسير (4/563) ترجمة 223.

(15) ذكره ابن الجوزي في التذكرة في الوعظ (ص 80)

.28 - .27 الزمر: (16)

.58 الرؤم: (17)

.175 الأعراف: (18)

.5 الجمعة: (19)

.43 العنكبوت: (20)

.21 الحشر: (21)

.111 يوسف: (22)

.50 القصص: (23)

.18 الجاثية: (24)

(25) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عذر بن ناجية بن الجماهر بن الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معاً وأمه طيبة بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الجبعة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام، ووفاة أبي عبيدة، واستعمله عمر على امرة البصرة بعد أن عزل المغيرة، وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: 851) ترجمة 3137، والإصابة (4/211) ترجمة 4901.

(26) أخرجها الفريابي في فضائل القرآن (19)، أبو نعيم في حلية الأولياء (1/257) بلفظه . وفي المصادر الأخرى بدون ذكر الجمع للقراء .

(27) أخرجها مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (804) من حديث أبي أمامة الباهلي.

.123 - .124 طه: (28)

(29) مجاهد بن جibr، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين. روى عن: ابن عباس فناشر وأطاب، وعنده أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. كان يقول: "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أفقه عند كل آية، أسأله: فِيمَ نَزَّلَتْ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ؟". وكان من أعلم التابعين بالتفاسير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إمام في التفسير. توفي سنة ثلاثة وثلاثة وستة وقد تيقن على الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (27/228) ترجمة 5783، وسير أعلام النبلاء (4/449) ترجمة 175.



www.al-bayan.org

.121) البقرة: (30)

(31) أخرجه مجاهد في تفسيره (1/87)، سعيد بن منصور في سننه (209).

.3) يوسف: (32)

.111) يوسف: (33)

.44) التور: (34)

(35) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامية (673) من حديث أبي مسعود.

مواد ذات صلة:

❖ شرح أخلاق حملة القرآن
❖ أخلاق حملة القرآن